صورة المرأة في المجتمع الأندلسي

الدكتورة: زهراء تود
جامعة محمد الخامس بالرباط
المغرب

➢ **ملخص البحث:**

يهدف هذا المقال إلى إبراز صورة المرأة في المجتمع الأندلسي وانعكاسها في الشعر الأندلسي، من خلال تتبع التحولات الاجتماعية والثقافية التي عرفتها الأندلس بعد استقرار الحكم العربي الإسلامي. فقد أسهم تلاقح الحضارات، وخصوصية البيئة الأندلسية، واتساع هامش الحرية، في الرفع من مكانة المرأة ومنحها دورًا فاعلًا في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية.

كما يتناول المقال حضور المرأة في الشعر الأندلسي، حيث انتقل تصويرها من الجمالية الحسية إلى الجمالية الرمزية، وأصبحت المرأة والطبيعة عنصرين متداخلين في الرؤية الشعرية. ويقف البحث عند نماذج من نساء القصر ونساء العامة، مبرزًا مظاهر الحرية، والثقافة، والنفوذ، وأثر ذلك في تشكيل الوعي الجمالي والاجتماعي للأندلسيين خلال عصر الطوائف والمرابطين.

➢ **مقدمة المقال:**

تُعد دراسة صورة المرأة في المجتمع الأندلسي من القضايا الفكرية والثقافية التي تكتسي أهمية خاصة، لما تعكسه من تحولات عميقة عرفها المجتمع الأندلسي في بنيته الاجتماعية ورؤيته للإنسان والحياة. فقد أسهم الاستقرار السياسي، والتنوع الحضاري، وخصوصية الطبيعة الأندلسية، في بلورة نموذج متميز للمرأة، تجاوز الصورة النمطية السائدة في بعض المجتمعات المشرقية والأوروبية في العصور الوسطى.

وتسعى هذه الدراسة إلى مقاربة مكانة المرأة الأندلسية في بعدها الاجتماعي، ورصد تمثلاتها في الشعر الأندلسي، من خلال إبراز دورها الثقافي والجمالي والإنساني، والكشف عن طبيعة العلاقة التي ربطت الشاعر الأندلسي بالمرأة، وكيف تحولت من موضوع للغزل التقليدي إلى رمز للحياة والطبيعة والخصب والجمال.

➢ **توطئة:**

لم تتضح صورة المرأة الأندلسية بشكل جلي إلا بعد أن استتب الحكم العربي الإسلامي بالأندلس، واستقرت الأوضاع وتكونت شخصية الأندلسي بصفة واضحة، والتي اضحت تتمتع بمزايا استمدتها من أجناس عايشتها واندمجت معها.

وكان لأنظمة الحكم التي سادت البلاد دور كبير في تكريس أسس جديدة، كانت تفتقر إليها المجتمعات المشرقية، وأهمها الحرية بكل تجلياتها خاصة "حرية المرأة" وكان للطبيعة الاندلسية الخلابة كذلك دور كبير في تأسيس رؤيا جديدة للحياة وتكسير نمطية عيش بدوي لطالما تحكم في تصور الإنسان العربي بالمشرق، وكان لهذه المواصفات أن أنتجت ثقافة جديدة أكثر تحررا وعمقا وأسست لفن جديد، عبر بصدق عن بيئة متميزة وساير التحولات التي عرفتها البيئة الأندلسية بكل مجالاتها.

ولم يكن الشعر العربي الأندلسي بمعزل عن تلك التحولات وإنما استفاد من جل العلاقات الاجتماعية والتحولات السياسية ومن الطبيعة، بكل مواصفاتها الجديدة بل الأكثر من ذلك استفاد من مجال الحرية ليعبر بصدق دون تكلف عن طموحات الشاعر وتمثلاته وعن ما يجيش في صدره تجاه علاقته بالمرأة من جهة، وبالطبيعة من جهة ثانية، وكيف استطاع أن يجعل التغزل بالمرأة موضوعا مستقلا أبدع من خلاله في وصف جمال المرأة الظاهري؟ وكيف تمكن من أن يعبر بصدق عما ينتابه من أشواق وحنين تجاهها؟ وعن المكانة المرموقة التي منحها لها؟ وكيف أصبحت بالنسبة إليه ومن الحياة والسعادة والخصب والطبيعة؟

1- : صورة المرأة في المجتمع والشعر الأندلسيين

استطاعت المرأة الأندلسية أن تنال حضها من النشاط العلمي والأدبي والشعري، وذلك بكثرة المراكز الأدبية والشعرية التي استشرت في جل المدن الأندلسية، خاصة في عهد ملوك الطوائف والمرابطين.

وكان للمرأة الأندلسية نصيب وافر في مضمار الشعر جعلها تتفوق على الشواعر المشرقيات، كما أنها نالت حضها من شعر الغزل الذي أبدعه شعراء أندلسيون أمثال ابن زيدون، ابن حزم، ابن حمديس، ابن خفاجة...

2: مكانة المرأة في المجتمع الأندلسي

لا يمكننا أن نعطي صورة يقينية عن وضعية المرأة في بداية الحكم الإسلامي بالأندلس، لأن الأوضاع السياسية والاجتماعية بها ظلت في مخاض واضطراب ولم تعرف الاستقرار إلا بعد استقلال الحكم الأموي عن ولائه لدمشق. إذ أن ملامح التعامل مع المرأة بدأت تتشكل شيئا فشيئا بناء على تضافر مجموعة من العوامل أهمها: المثاقفة والتلاقح الحضاري والمحيط البيئي والطبيعي والديني وتمازج الأعراق، كل هذه العوامل ساهمت بشكل كبير في تكوين شخصية الإنسان الأندلسي التي من خصائصها الرفع من مكانة المرأة داخل المجتمع وتعليمها ومنحها حريتها

في التعبير والتدبير والاختيار. بيد أن مجموعة من الدارسين الغربيين وانطلاقا من تصورات محايدة للصواب وملغمة تريد المساس بالتشريعات الإسلامية وبموقفه تجاه المرأة، اعتبروا المرأة الأندلسية في ظله كانت عنصرا من عناصر المتعة التي تؤثث القصور والبلاطات صحبة الغلمان والخصيان، " ناهيك عن الجواري والقيان اللواتي يشاركن بشكل فعال في السمر الليلي وتنسيم مجالس اللهو والأنس بعبق الطرب والشراب والرقص."[1] ولكن بعض الدراسات المعتدلة الحديثة أنصفت الإسلام وبينت دوره في الرفع من مكانة المرأة بصفة عامة، والمرأة الأندلسية خاصة. لقد متعها بكل حقوقها الذاتية والمدنية، خلافا لما كانت عليه إبان العصور الوسطى في أوربا، لقد وجدها إثر الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس ترزح تحت نير العبودية محرومة من أبسط حقوقها، وظلت تستغل استغلالا دنيئا خاصة المرأة الأَمَة، ولم يسلم من هذا الاستغلال إلا القليل من نساء "الطبقة الحاكمة"، وأصحاب الجاه والنفوذ. بينما أضحت في ظله تؤثر بشكل كبير في سير الحياة الاجتماعية، بل هناك من النساء من ملكن نفوذا سياسيا أثر في نظام الحكم وفي سياسة البلاد ذاتها. وقد أورد الدكتور إحسان عباس في مؤلفه" تاريخ الأدب الأندلسي" أمثلة على شخصيات نسائية ذوات نفوذ سياسي كبير ويتمتعن بقسط كبير من الحرية. فقال: "كانت "عجب" ذات سلطان واسع في أيام هشام بن عبد الرحمان، وظلت تسيطر كثيرا في أيام عبد الرحمان ابنه، وكان لطروب جارية عبد الرحمان إدلال كثير عليه."[2] ونجد هنري بيريس يرى أن المجتمع الأندلسي " الذي استطاع الإسلام أن يسمه بطابعه في بعض مظاهره الخارجية دون أن يشكله بعمق، استطاعت المرأة رغم كل الضوابط الدينية أن تلعب دورا رئيسيا أوضح مظاهره أنها استحوذت على فكر الرجل."[3]

لقد أدت المرأة في المجتمع الأندلسي خلال "عصر الطوائف والمرابطين" عدة أدوار في تحريك عجلة العلوم والآداب والفقه والقضاء مستفيدة في ذلك من الموقع الجغرافي للأندلس، ولهذا برعت في شتى الميادين الاجتماعية والسياسية والثقافية، وعرفت الأندلس أصنافا من النساء منها نساء الخاصة والقصر ونساء العامة، وفضلا عن المرأة الأندلسية جارية كانت أو حرة.

تقاسمت المرأة عبر مختلف العصور الأديب حياته وروحه، فقد صارت جزءا لا يتجزأ منه كإنسان ثم كمبدع. صورها الشعراء وأبدعوا في تصويرها، وظل ذلك تقليدا سائدا عبر العصور بمقاييس ثابتة تقريبا لا تفرق بينها سوى بعض المتغيرات الحتمية التي يفرضها عاملا الزمن والبيئة، غير أن شعراء العصر الأندلسي، قلبوا الموازين تحت تأثيرات البيئة الجديدة، وصوروا المرأة من زاوية أخرى جعلت منها ظاهرة لا صورة مألوفة وصارت المرأة هي الطبيعة والطبيعة هي المرأة.

أ–نساء "القصر":

تطالعنا نصوص ابن حزم الأندلسي[4] باعتباره واحدا من شهود العيان الذين عايشوا تحركات نساء الخاصة داخل البلاط ونشأته في مثل هذا الوسط الأنثوي الناعم، حيث قال: "علمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأني تربيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن، لم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب، وهنّ علمنني القرآن وروينني الكثير من الأشعار، ودربنني على الخط." [5]

و" لم تكن نساء الخاصة مضطرة على القيام بأي عمل، داخل البيت أو خارجه، ويعود ذلك إلى أنها كانت محفوفة بالخدم والحشم"[6]، حيث "كانت تستأجر النساء أو تشتري الجواري ليعملن كمربيات للأطفال، ومعلمات لتثقيف الصغار،"[7] كما استخدمت" الحاضنة أو المربية التي كانت تحصل على أجرة معينة، يُتفق عليها نظير قيامها بهذا العمل،"[8] فكانت "تقضي الساعات الطويلة في التجميل، أما أوقات التسلية القليلة خارج البيت، فكانت زيارة الأهل والأقرباء، وارتياد الحمامات، مرة أو مرتين في الشهر، وعند زيارتها المقابر يوم الجمعة، حيث كانت تتمتع بقسم وافر من الجمال"[9]، ذلك بشهادة "ابن الخطيب" الذي منحها أحسن وصف يمكن أن تنعت به امرأة في جمالها حيث قال: "وحريمهم حريم جميل موصوف باعتدال السمن، وتنعم الجسوم، واسترسال الشعور، ونقاء الثغور، وطيب النشر، وخفة الحركات، ونبل الكلام، وحسن المحاورة، إلا أن الطول يندر فيهن[10]".

كما وصفها "ابن قزمان" (ت 554هـ-1149م) بشتى صفات الجمال فقال: "ومن رأى مليح بلح هلال كتفاح بعيني من تحت الدلال، حواء السمر وأملح من غزال"[11]. فجمالها كالهلال بنوره عند طلوعه و"كالتفاح في انجذابه، وفي حال زواجها يكون همها الأول انتزاع حب زوجها، وإعجابه بها ليزداد تعلقه وتصبح عنده، لأنه هو الطريق الوحيد لتحقيق رغباتها".[12]

عاشت نساء القصر حياة مترفة في "بهو يزهو بالعز والفخامة، ويضم في داخله مقاصر العقائل وحجرات الكرائم"[13]. "وكن ترتدين ألبسة محكمة الصنعة بديعة الجمال تقتنى من بعض المدن المشتهرة بصناعة الملابس كمدينة "**ألمرية**"[14] المعروفة بمدينة الإسلام التي "كان بها ثمان مائة طراز في صناعة الحرير الموشاة بالذهب"[15]، و"الثياب الرقيقة المطرزة، وحلل الحرير النفيسة والمعاجر" .[16]

كما كان هناك "السروال والبرنس، الذي شاع لبسه بشكل خاص"[17]، إلا أنه غلب على النساء الحرائر ارتداء الحجاب أسوة بالنساء المشرقيات، بيد أن النساء المرابطيات عكس رجالهن المنقبين الملثمين، كن "حاصرات الوجوه كاشفات، حيث كان من عادات المرابطين، كما يذكر المؤرخون، اتخاذ الرجال اللثام وعكس ذلك عند النساء.[18]

وتعتبر الحلي من مظاهر الأبهة والبذخ، عند نساء أهل الأندلس خاصة نساء القصر منهن، لهذا كن مضرب المثل في الحسن والجمال، وقد وصف لنا ابن الخطيب زينتهن وصفاً جميلاً حيث قال: "قد بلغن من التفنن في الزينة والمظاهرة بين المصبغات والتنافس في الذهبيات والديباجيات والتماجن في أشكال الحلي إلى غاية بعيدة"، وزاد قائلا: "إن حليهن القلائد[19]، والدمالج[20]، والخلاخل [21]والشنوف[22]، التي هي من "الذهب الخالص لهذا غلب على زيّهن الأناقة والبذخ، والتفنن في الزينة وأشكال الحلي" .[23]

"والمرأة الأندلسية في عصر المرابطين كانت تتمتع بالحرية، فتخرج في مسرات الأسرة، وأحزانها فقد أدى ذلك إلى انحراف بعضهن، فكانت النساء يذهبن بمفردهن بداعي زيارة القبور، التي تصبح بذلك أماكن مواعيد"[24]. وأن أكبر حرية تمتعت بها تلك التي ذكرها المقري في "نفحه"، وهو تعبير عن مشاعرها، دون أي حائل بما تنظمه من شعر"[25]، كأم الكرام بنت المعتصم ابن صمادح التي تتحدث الأخبار عنها أنها نشأت في بيت الملك، وأنها عرضت حبها على "شاب يدعى السمار وقد ذاعت عنها أبيات تذكر فيها محبوبها قائلة :

ممَّا جنتْه لوعةُ الحبِّ يا معشرَ الناس ألا فَأعجبُوا
من أفقه العلويِّ للتّربِ لولاه لم ينزل بدر الدجى
فارقنِي تابعهُ قلبِي[26] حَسبِي بمنْ أهواهُ لو أنهَّ

ويبدو أن والدها المعتصم ابن صمادح لم يرق له ذلك،" فاختفى الفتى المدعو السمار إمّا تورياً منه عن الأنظار أو أنّ المعتصم قتله تخلصاً منه .[27]

وأكبر مكانة حظيت بها المرأة، هو "اعتزاز الرجال بالانتساب إلى أمهاتهم فانتسب القادة والأدباء إلى أمهاتهم كابن عائشة الذي كان قائدا، في ولاية يوسف بن تاشفين، وابن غانية وابن اللبانة... وغيرهم.[28]

وقد احتفظت المصادر التاريخية بكثير من الأمثلة عن أسماء وألقاب أمهات واخوات وبنات، وزوجات، ومحظيات، وأحياناً جدات، وحفيدات، أمويين من قرطبة، أو حكام الطوائف والمرابطين من الطبقة الخاصة الغنية، التي "وفرت لهن تربية حسنة وثقافة عالية ممن اشتهرت فيهن في ميادين مختلفة على سبيل المثال:

عائشة بنت أحمد بن محمد القرطبية التي عاشت في (القرن الخامس الهجري) كانت من أثرياء قرطبة.[29]

وأسماء العامرية التي عاصرت (القرن السادس الهجري)، ولدت في إشبيلية وهي من الحرائر.[30]

واعتماد الرميكية، "زوجة المعتمد بن عباد، ويذكر ابن الآبار أكثر أبناء المعتمد شهرة قائلاً: "إنهم جميعاً أبناء لجاريته، هذه الحظية عنده الغالية عليه، اعتماد التي كان ابن عباد، مفرط الميل إليها، حتى تلقب بالمعتمد، لينتظم اسمه حروف اسمها .[31]

امتلكت الحرائر من النساء" ثروات طائلة، وكميات كبيرة من الحلي النفيسة، والأحجار الكريمة وضيعات واسعة، وأملاك عقارية، وبقعا أرضية عديدة، التي يعود أصلها إلى الميراث والصداق وكذا هبات الحكام، حيث كن أحياناً يستعملن هذه الأملاك، للتبرع للمؤسسات العامة، ودليل على هذا وجود العديد من المساجد والوقاف في الأندلس تحمل نساء القصر."[32]

ب–نساء البيت:

جبلت شخصية الأندلسي الأصيل على "صيانة شرف المرأة، وحرمتها لذا كفل المجتمع هذا الحق وعمل على حمايتها"[33] فقد كانت نساء العامة، يلازمن بيوتهن عن طواعية دون اعتبارهن حبيسات الجدران، بل "كن يخرجن لقضاء أغراضهن، فتخرج إلى باب العطارين، وهو المكان الذي تزوره النساء، لشراء حاجياتهن الخاصة، من عطور، وزيوت، وصابون، وتوابل"[34]، بالإضافة إلى حضورها الولائم والحفلات، "وثمة أماكن في الأندلس لم تكن تخلو من نساء العامة، كالأسواق والحمامات العامة، فقد كان حضور النساء فيها للترفيه عن النفس، فبهذا اخبرنا ابن حزم أن باب العطارين بقرطبة كان نقطة التقاء النساء".[35]

لقد فرض المستوى المادي المتدني للمرأة في الوسط العامي، مساعدة المرأة زوجها على تخفيف متاعب الحياة، فعلاقتهما قائمة أساسا "على التعاون والتضامن، الذي فرضته ظروف الحياة القاسية فالرجل اقتصرت مهامه على العمل من أجل القوت، أما المرأة فانصب جهدها في عمل البيت"[36]. فحسب المقري فإنها كانت تساعد زوجها على " إعالة الأبناء وتوفير القوت، وذلك بغزل الصوف وبيعه[37]".

وهناك بعض "الملامح، التي تقدمها النصوص عن المرأة العامية الريفية، التي تتجاوز في أعمالها الواجبات المنزلية، ومساعدة الرجل مثلاً، في فترة الحصاد، كما كانت تستعمل الكلل في نسيج رقيق يسمح بدخول الهواء، ويمنع الحشرات بالدخول إلى البيت"[38]. ويعتبر خروج المرأة للبيع في الأسواق "نتيجة حتمية لغياب الزوج أو وفاته، حيث تضطر للبحث عن رزق تعيل به أسرتها، وأبلغ مثال عن ذلك نجده في والدة الشاعر المعروف بابن اللبانة (507هـ-1113م)، استطاعت أن تعيل أبناءها بفضل بيعها للحليب ومشتقاته"[39]، ودليل ذلك أخبرنا به ابن حزم عن "وجود سوق مخصص لعرض مبيعات النسيج، بقرطبة وكان سوق الغزل يقصده العامة من النساء، لشراء ما يلزمهن من الثياب[40]".

ت–الجواري (الإماء):

إن الحديث عن الأمة، متعلق بالحديث عن الأسر الثرية التي تكون فيه المرأة، في حاجة تامة للخادمة التي تساعدها، أو مربية للأبناء أو معلمة تلقن للحريم والبنات أصول الدين أو الأدب والشعر، أو موسيقية أو مطربة أو شاعرة تتحف الأسرة بما يمتع من لوحات غنائية وشعرية راقية. وكان عدد الجواري كبيرا في الأندلس " وينتمي إلى جنسيات مختلفة، ومن مناطق متنوعة، فمنهن القادمات من قطالونيا أو الباسك أو جلقية أو جنوب فرنسا. وأطلق عليهن في المصادر القديمة اسم الفرنج، وكن مرغوبات ومحبوبات لبياض بشرتهن، وشقرة شعرهن، ويمثلن الأغلبية إلى جانب قلة من الصقليات."[41]

ومما زاد في كثرة أعداد الجواري بالأندلس "كثرة الحروب والمعارك التي خاضها المسلمون ضد الممالك المسيحية في إسبانيا وبلاد الفرنجة، وكذلك عن طريق تجارة الرقيق، الذين كانوا يأتون بهم من أماكن شتى في أوروبا وغيرها"[42]، وفي هذا الصدد يقول المراكشي في كتابه المعجب عن المنصور ابن أبي عامر "ملأ الأندلس غنائم وسبايا من بنات الروم وأولادهم ونسائهم" .[43]

كما يذكر ابن الآبار" أن المنصور بن أبي عامر، في إحدى غزواته بمملكة جليقية عاد بأربعة آلاف سبية"[44]، حتى زخرت بهن القصور، "وامتلأت بيوت المسلمين في الأندلس بالإسبانيات وغيرهن، حيث تزوجهن الكثير من العرب والبربر، حتى كان لبعضهم تأثير كبير على

أزواجهن، وأصبحت بذلك تمثل أهمية كبرى لدى الطبقات الاجتماعية الكبرى. فقد وهبن من الصفات الخاصة ما أهلهن لدور أبرز في حياة الكبار[45]".

و"يقصد بالجواري أو الإماء، النساء المملوكات اللواتي بعن بيع العبيد"[46]، وللقيام ببيع أو شراء الجارية يجب اتخاذ مجموعة من الإجراءات، منها كما ذكر لنا السقطي تحرير استدعاء لها ولمن يريد شراءها أيضا، والتأكد "أنها ليست ملكاً لأحد وذلك عن طريق ثقة من النساء يتفقن عليها، أو عند رجل من الثقاة.[47] و"الجارية إذا ما وقعت من سيدها موقعا حسنا. واستحسنها لا يظن ولا يبخل عليها بأي أموال في شرائها، فيذكر أن الأمير المنذر بن عبد الرحمن الأوسط عرضت عليه جارية اسمها "طرب" وعندما أعجبته ضاعف ثمنها مرة أخرى أكثر مما طلب بائعها."[48] ولعل أهم الصفات التي تغري الشاري بشرائها هي جمال الجارية وحسن قوامها، وغزارة علمها وشساعة ثقافتها وسرعة بديهتها، وفي كتب الحسبة تصنف الجواري كذلك اعتمادا على الأقاليم التي تنتسب إليها.

فقد صنفها السقطي مثلاً: "وبين أن الخادمة البربرية تقتنى للَّذة، والرومية لحيطة المال والخزانة، والتركية لإنجاب الولد، والزنجية للرضاعة، والمدنية للشكل، والعربية للطرب[49]".

وصنف آخر من الجواري "يتقنن اللغة الرومانسية، وهي اللهجة الدارجة للغة اللاتينية والمتعارف عليها في الأوساط الأندلسية.[50]"

ومن حيث وظائفهن داخل البيوت أو القصور فيمكن تقسيمهن إلى نوعين:

أما النوع الأول: "فيشتمل الجواري اللَّواتي استخدمن في القصور لقضاء الحاجات المنزلية، ويطلق عليهن اسم جواري الخدمة، وهن اللواتي تجاوزن سن الشباب ولا يصلحن للمتعة والتسلية، وينصب دورهن لخدمة أسيادهن في القصور"[51]، كما يحوي هذا النوع "الرقيق الأسود الذي يطلق عليهن اسم السودانيات، وكان لهن تأثير في المجتمع الأندلسي حيث إن أحد "شوارع قرطبة مازال يحمل حتى يومنا هذا زقاق السود"[52] ومن خصائص الإماء السودانيات أنهن أكثر طاعة وإتقانا للأعمال المسندة لهن. ونستشف أن السودانيات من أحسن الإماء حيث يتمتعن بالطاعة والعمل، كما أنهن اشتهرن بإجادة الطبخ وتنويع الأطعمة اللذيذة، تهيئهن أصناف الحلويات المتنوعة. و"لعلمهن بصناعة الهريسة، وكلها أعمال منزلية وهناك قول يؤكد على إماء الخدمة، وهو لأحد الجغرافيين في قوله: "وسائر السود ينتفع بهم في الخدمة والعمل الأسري".[53]

أما النوع الثاني: "فيطلق عليهن اسم جواري اللذة، وهن يستخدمن لتسلية أسيادهن كما تم إعدادهن لفراش السيد، وجلب المتعة لنفسه بمختلف الطرق، وكن يتمتعن بثقافة ساعدتهن على ممارسة ذلك العمل"[54]. وهناك إماء ذوات بشرة بيضاء وشعر أشقر، ومقل زرقاء اللون. وقد "كن دائماً موضع اختيار الأمراء، والحكام وعلية القوم، وكن أكثر قابلية لتعلم الفن والموسيقى، وكانت الجارية كلما مهرت في فنها بولغ في ثمنها."[55]

لقد كان هذيل بن رزين "يبتاع الجواري المغنيات المحسنات، ويطلبهن من كل جهة فكانت ستارته أرفع ستائر الملوك، فقد دفع في جارية الطبيب أبي عبد الله الكناني ثلاثة آلاف دينار، حيث كانت واحدة القيان في زمانها من حيث الجمال، وطيب الغناء، وجودة الكتابة والمعرفة والعلوم".[56]

وكان يطلق على "الجواري أسماء بسيطة وجميلة، وفيها كثير من التفاؤل، ولها معنى من معاني امتيازهن مثل: روض، صبح، قمر، طروب...الخ[57]" .

ومن بين أسماء الجواري، التي "حفظتها لنا الكتب في عهد ملوك الطوائف والمرابطين والتي كانت منتشرة في أوساطهن نجد:

اعتماد، وريحانة، وغاية المنى، والغسانية البجانية، وأسماء العامرية، ونزهون وغيرهن[58]" كما سجل التاريخ جوار خلدن أنفسهن في مجال الشعر وساهمن بشكل جلي في إثراء الشعر الأندلسي العربي وسوف نختار نماذج من أشعار بعضهن.

وهكذا تمتعت المرأة الأندلسية في عصر ملوك الطوائف والمرابطين بمكانة مرموقة، وأسست لنفسها مكاناً في الهرم الاجتماعي، وكونت شخصية ساهمت في بناء الأحداث الأسرية، داخل البيت وفي وسطها الاجتماعي، فكانت مساعدة للأقارب ومطعمة للمساكين، وقاسمت الرجل في مهمته، فكونت رفقته نسيجا متكاملا للأسرة دون أن نغفل مساهمتها في ميادين الحياة المختلفة التي سنتطرق إلى شرحها في المباحث الأخر.

➢ **الكلمات المفاتيح:**

- **المرأة الأندلسية**
- **المجتمع الأندلسي**
- **الشعر الأندلسي**
- **صورة المرأة**
- **الجمالية الحسية**
- **الجمالية الرمزية**
- **عصر الطوائف والمرابطين**

الهوامش:

[1]– د سناء الشعيري، "**المرأة الأندلسية**"، http://www.andalusite.ma/?p=693.

[2]– د إحسان عباس. "**تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة**". دار الثقافة بيروت لبنان. المكتبة الأندلسية. ط 2 س 1969،

[3]– هنري بيريس. **الشعر الأندلسي في عصر الطوائف**. ترجمة د الطاهر أحمد مكي. دار المعارف.ط1 يونيو1988م ص347

[4]– ابن حزم الأندلسي: هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن حزم، من إقليم الروايا، من كورة فيلة، من غرب الأندلس، ولد بقرطبة آخر يوم من شهر رمضان سنة 383هـ، كان حافظاً عالما بعلوم الحديث وفقيه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، له عدة مصنفات منها: كتاب في "الإجماع ومسائله على أبواب الفقه" توفى سنة 458هـ.

(أبي عبد الله محمد بن نصر الأزدي الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر (د.ط) 1966م، ص308-309؛ أبي العباس شمس الدين محمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت) مج1، ص325-330.

[5]– محمد بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: "**رسائل**"، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، ط2، 1987م، ج1، ص166. سناء الشاعري: "**المرأة في الأندلس**"، مطبعة الأمنية، الرباط، ط1، 2009م، ص37.

[6]– ابن حزم، نفسه، ص71.

[7]– محمد سعيد الدغلي: "**الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي**"، دار أسامة، ط1، 1984م، ص44.

[8]– أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي: "**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**"، إشراف: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، الرباط، ط1، 1981م، ج3، ص107.

[9]– يوسف فرحات شكري: "**غرناطة في ظل بني الأحمر**"، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993م، ص102.

[10]– لسان الدين ابن الخطيب: "**اللمحة البدرية في الدولة النصرية**"، تحقيق: محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، (د.ط)، (د.ت)، ص43.

[11]– مريامة العناني: "**الأسرة الأندلسية في عصري المرابطين والموحدين**"، رسالة ماجستير، جامعة قسطنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص67.

[12]– خالد حسن حمد الجبالي: "**الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية**"، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص88.

[13]– أبي الحسن علي ابن بسام الشنتريني: "**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**"، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1997م، ج1، ص196.

[14]– "**ألمرية**": تعرف بمدينة الإسلام، تقع جنوب مملكتي اشبيلية وغرناطة، محمد عبد المنعم الحميري: "**الروض المعطار في خبر الأقطار**"، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط 1، 1975م، ص 538.

[15]– علي بن موسى بن سعيد: "**كتاب الجغرافيا**"، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1982م، ص140.

[16]– **المعاجر**: لفظ مشتق من كلمة معجر وهو نوع من الألبسة تلفه المرأة على استدارة رأسها. (جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور: **لسان العرب**، دار الفكر، بيروت، دار صادر، بيروت، ط1، 1300هـ، مج9، ص214.

[17]– أبو عبد الله ابن عذارى المراكشي: "**بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**"، تحقيق: ج. س. كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م، ج3، ص40.

[18]– ابن القطان المراكشي: "**نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**"، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1990، ص97.

[19]– **القلائد**: ما جعل في العنق من الحلي، (ابن منظور، المصدر السابق، مج3، ص360).

[20]– "**الدمالج**": حلي يلبس في المعصم. (ابن منظور: نفسه، مج2، ص276).

[21]– "**الخلاخل**": نوع من الحلي تلبسه المرأة في أسفل الساق. (نفسه، مج11، ص220).

[22]– **الشنوف**: نوع من الحلي يلبس في أعلى الأذن، (نفسه، مج9، ص183-184).

[23]– لسان الدين ابن الخطيب: "**الإحاطة في أخبار غرناطة**"، تحقيق: محمد عبد الله عناني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1973م، ج1، ص138-139.

[24]– حسن علي حسن: "**الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**"، مكتبة الخانجي، مصر، (د.ط)، 1980م، ص45.

[25]– أحمد بن محمد المقري التلمساني: "**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**"، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1988م، ج1، ص192.

[26]– المقري، المصدر السابق، ج4، ص302؛ محمد حسن قجة: "**محطات أندلسية**"، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1985م، ص192.

[27]– ابن سعيد: "**المُغرب في حلي المغرب**"، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعاريف، مصر، القاهرة، ط4، 1978م، ج2، ص203.

[28]– ابراهيم القاري بوتشيش: "**الأندلس والمغرب في عصر المرابطين**"، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1993م، ص52.

[29]– المقري، المصدر السابق، ج4، ص290.

[30]– نفسه، ج4، ص292.

[31]– أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الآبار: **الحلة السيراء**، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م، ج2، ص62.

[32]– سلمى الخضراء الجيوشي: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج2، ص1010.

[33]– مؤلف مجهول: "**أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم**"، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 2، 1989م، ص117.

[34]– سناء الشعيري، المرجع السابق، ص46.

[35]– ابن حزم: **رسائل**، المصدر السابق، ج1، ص70.

[36]– خميسي بولعراس: "**الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف**" (400هـ-479هـ/1009م-1086م)، مذكرة ماجستير، جامعة باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2006م-2007م، ص72.

[37]– المقري: المصدر السابق، ج4، ص273.

[38]– القاضي ابن موسى السبتي عياض: "**ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب مالك**"، مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج2، ص438.

[39]– سناء الشعيري، المرجع السابق، ص47.

[40]– ابن حزم: رسائل، المصدر السابق، ج1، ص121.

[41]– الطاهر أحمد مكي. دراسات عن ابن حزم. وكتابه "**طوق الحمامة**"ط2 1981م ص30

[42]– حسين يوسف دويدار: "**المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**"، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، 1994م، ص319.

[43]– محي الدين أبي محمد عبد الواحد ابن علي التميمي المراكشي: "**المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين**"، تحقيق: محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة، ط3، 1963م، ص83.

[44]– ابن الآبار: "**الحلة السيراء**"، ج1، ص216.

[45]– ابن حزم:" **رسائل**"، المصدر السابق، ج2، ص100.

[46]– راوية شافع عبد الحميد: "**المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة**"، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2004م، ص184.

[47]– أبو عبد الله محمد ابن أبي محمد السقطي: "**في آداب الحسبة والمحتسب**"، تحقيق: ج.س كولان وليفي بروفنسال، باريس، (د.ط)، 1931م، ص48.

[48]– د. راوية عبد الحميد شافع، "**المرأة في المجتمع الأندلسي**"، مرس 2004م، ص51

[49]– أبو عبد الله محمد ابن أبي محمد السقطي: "**في آداب الحسبة والمحتسب**"، تحقيق: ج.س كولان وليفي بروفنسال، باريس، (د.ط)، 1931م، ص 49.

[50]- Claudio Sanchéz Albornoz : La Espanà Musulmana, Buenos Aires, Tomo.I, 1946, p.247.

[51]– رواية شافع عبد الحميد: المرجع السابق، ص184.

[52]– نفسه، ص186.

[53]– إبراهيم القادري، "**الإسلام السري بالمغرب الإسلامي**"، دار سينا، القاهرة، ط1، 1995م، ص234.

[54]– خوليان ريبيرا،"**التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية**"، ترجمة: طاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1994م، ص98.

[55]– الطاهر أحمد مكي، "**دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة**"، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1987م، ص19.

[56]– ابن عذارى، "**البيان**"، ج3، ص108.

[57]– راوية شافع عبد الحميد، المرجع السابق، ص182.

[58]– سناء الشعيري، المرجع السابق، ص60-61.